

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

### النَّحْرِي في مقالة السيد الخميني

لقد تصدّينا الدليل الثاني للأشاعرة بواسطة إجابة السيد البروجردي والتي تُبدو إجابةً وزينةً في هذا الحقل، بينما إجابة السيد الخميني قد نجحت في إثبات الإرادة الإلهية ضمن الأوامر الامتحانية، ولكن لم يُفكّر أخيراً ما بين الأوامر الامتحانية والحقيقة بالنسبة إلى أوامر الله تعالى، بل إنَّ السيد قد دمج أوامر الله وأعاد كلها إلى عنصر واحد وهو حبُّ الذات الإلهي، ثم تفرّغ إلى أوامر البشر فميّزَ الأمر الامتحاني عن الأمر الحقيقي البشري في المبادئ والأغراض فحسب إذ الإنسان بحاجة إلى التصور والتصديق والجسم والغرض... لكي يُصدر أمراً بينما الله سبحانه قد امتنّجَ أغراضه مع فاعليّته سبحانه بلا اثنينية في البين بحيث تعود كافة أفعاله إلى حبِّ ذاته أولاً وبالذات، ثم ينتفع منها البشر ثانياً وبالعرض قهراً، ثم في النهاية قد استنتاج: بأنَّ كلَّ الأوامر الإنسانية قد تفرّعت على الاختيار والإرادة وبالتالي لا تخلو الأوامر الامتحانية عن الإرادة أساساً خلافاً للأشعري ولهذا قد فشل الأشعري في إثبات عدم الإرادة في الأوامر الامتحانية وأخفق أيضاً في إثبات الكلام النفسي الذي يغيّر العلم والإرادة، ثم أكمل السيد الخميني قائلاً:

فَحُبُّ ظهور الذات و معروفيتها حبُّ الذات لا الأشياء. و ليعلم أنَّ إحياء الوحي و إنزال الكتب و إرسال الرسل جزء من النظام الاتّمني الكياني التابع للنظام الأجمل الربّياني و كيفية تعلق الإرادة بها ككيفية تعلقها بالنظام الكياني بنحو التبعية والاستجرار للنظام الربّياني (فهذه الثالثة تُعدُّ إرادةً تبعيّةً لله تعالى فالإرادةُ الأصلية هو نفسُ الله تعالى) أي حضرة الأسماء و الصفات و هي الكنز المخفي المحبوب بالذات، و المحبّ و المحبوب و الحبّ عين الذات. فتحصلَّ مما ذكرنا و هن تمسّك الأشعري لإثبات مطلوبه بالأوامر الامتحانية؛ فإنه مع ما عرفت بطلانه لو فرض كلام نفسي و طلب نفسي لنا فيها، لا يمكن تصوّره في ذات القيوم الواجب جلّ و علا، و هل هذا إلا قياس الحق بالخلق، و التراب و رب الأرباب[1]

ونلاحظ عليه بأنه لم يُفكّر ما بين الأوامر الامتحانية و الحقيقة في أوساط البشر، نعم إنه قد تحدثَ عن كُلِّ الأوامر الإلهية بأسرِها فأدرجَها ضمن غايةٍ واحدةٍ و هو حبُّ النفس و لكنه في النهاية لم يُفسِّر لنا حقيقةَ الأوامر الامتحانية الإلهية المطروحة ضمن القرآن الكريم، بينما قد أقرَّ الجميع بأنَّ أقسامَ الأوامر تمتازُ عن بعضها الآخر عرفيّاً وقد ألقى الشارعُ هذه الخطابات للعُرَفَيْنَ فلا يُنصح له أن يُحولَ كافة الأوامر الإلهية إلى حبِّ النفس حتى الأوامر الامتحانية، إذ العقلاءُ يُحاجُونَ هذه النظريةَ بل يُميّزونَ ما بين أوانِ الأوامر في بياناتِ الشارع العرفيّة و لا يعتقدونَ أنَّ كافة الأوامر الإلهية على نسقٍ واحدٍ عرفاً.

أجل، ربما نصونُ مقالة السيد بأنَّ الله حينما يشاءُ التحدثَ مع العقلاءَ يستخدمُ أسلوبَ الأعرافِ بحيث يُشرعُ في ظاهر العبارة أمرًا امتحانياً بنظر العرف، لا بنظر العقل لكي يرد الإشكالُ بأنَّ الأوامر الإلهية موحدةٌ تماماً، فتفسِّرُ الأوامر يَتَمُّ بلحاظ العرف ولا محظوظ في ذلك، وعلى كل تقدير فقد درَّ السيد الخميني سخافةً مقالةً الأشاعرة.

### نبَّهَ من بياناتِ السيد الخميني

و رغمَ الملاحظة التي أوردها على السيد الخميني، إلا أنه قد أجادَ حيث أعادَ الإرادةَ التشريعية الإلهية إلى الإرادة التكوينية، وهذا

التفكيرُ يُرافقُ أيضاً تصريحاتٍ بعض الأعلامِ بـأنَّ النَّظامَ التَّشريعيَّ قد شُرِّعَ وفقَ نسقِ النَّظامِ التَّكوبنيِّ لأنَّ اللهَ يَمْتَلِكُ إرادةً واحدةً فقط – حبَّ الذَّاتِ. فهـما مُتَسِّقانِ تماماً بـحيث حينما شرَّعَ وجوبَ الصلاة فقد انجلَى هذا التشريعُ بين أوساطِ المكاففينَ وفقاً لـنفسِ الإرادةِ التَّكوبنيَّةِ التي تجلَّى مُؤكَداً، وأمـا تَخَلُّفُ المَكَلَفِ عن امتثالِ الصلاة فإنه عائدٌ إلى اختيارِ البشرِ الذي قد تَخَلَّفَ عن الأمرِ التشريعـيِّ الفعليِّ خارجاً – لا أنَّ الإرادةَ التشريعـيةِ الإلهيَّةِ قد تَخَلَّفتَ بـحيث لم تَتحقَّقْ بـعده. فـتمرُّدُه لا يَقدِّحُ بأصلِ تَحقِّقِ الإرادةِ التشريعـيةِ الإلهيَّةِ إذ الشـريعةُ قد تَمَّتَ بالكاملِ، أضـيفُ إلـيـه أنَّ نفسَ اختيارِ الإنسـانِ في إنجازِ عملِ أو التـمرُّد هو من مشيـةِ اللهِ تعالى وـإرادـته أيضاً بـحيث لا يـصطـدمُ مع إرادـاته التشـريعـيةِ أبداً، فـبـالتالي حيث قد أثـبـتنا اندماجَ الإرادـتينِ تجاهَ اللهِ تعالى فلا يُعقلُ حينـذاك أن يُشرـعَ اللهُ أحـكامـاً تـتضـارـبـ مع النـظامِ الـأـنـمـيِّ التـكـوبـيـنـيـ، نـعمـ ربـما عـقـولـنا الدـائـنـيـ لا تـعـيـ هـذـا التـنـسـيقـ وـالـتـرـابـطـ الوـثـيقـ بــينـ الإـرـادـتـيـنـ ولكنـ هـذـا حـقـيقـةـ مـتـحـقـقـةـ فـيـ الكـوـنـ.

بل وفقاً لـمنهجـةـ السـيـدـ الخـمـيـنـيـ يـعـدـ جـعـلـ الإـمامـةـ ضـمـنـ الآـيـةـ إـنـيـ جـاعـلـكـ لـلـنـاسـ إـمـاماـ. جـعـلـاـ تـشـرـيعـيـاـ وـتـكـوبـيـاـ فـيـ نفسـ الـلحـظـةـ إـذـ الإـرـادـاتـ الإـلهـيـةـ موـحـدـةـ تـمـامـاـ بـلاـ اـثـيـنـيـةـ.

نعم إنَّ الأوامرَ التشـريعـيةَ البـشـرـيـةَ لا تـنـوـلـ إـلـىـ الأوـامـرـ التـكـوبـيـنـيـةـ دـوـمـاـ فـرـبـماـ طـلـبـ المـاءـ بـالـتـشـرـيعـ فـلـمـ يـحـصـلـ عـلـيـهـ ثـمـ طـلـبـهاـ بـالـإـجـبارـ فـحـصـلـ عـلـيـهـ.

وكـذـلـكـ المـحـقـقـ الـأـصـفـهـانـيـ قدـ وـحـدـ ماـ بـيـنـ الإـرـادـةـ التـشـرـيعـيـةـ وـ التـكـوبـيـنـيـةـ الإـلهـيـةـ.

### المستمسكُ الثالث للأشعرى حول الكلام النفسي

إنَّ الدليلَ الثالثَ يُضاهمي الدليلَ الأولَ – في شـعرـ الأـخـطلـ – فهو عـبـارـةـ عنـ أـنـ الـأـرـتكـازـ العـقـلـائـيـ يـسـتـوجـبـ وجودـ كـلـامـ نـفـسـيـ نـظـراـ إـلـىـ أـنـ العـقـلـاءـ رـبـماـ استـوـدـعواـ فـيـ نـفـوسـهـمـ كـلـامـاـ لاـ يـوـدـونـ التـحدـثـ بـهـ لـلـمـسـتـمـعـ وـهـذاـ أـقـوىـ دـالـ علىـ تـواـجـدـ كـلـامـ نـفـسـيـ مـخـبـأـ وـراءـ كـلـامـ لـفـظـيـ، بلـ قـدـ شـهـدتـ بـذـلـكـ الآـيـاتـ الـبـيـنـاتـ: 1. وـيـقـولـونـ فـيـ أـنـفـسـهـمـ لـوـلـاـ يـعـدـبـنـاـ اللـهـ. 2. فـأـسـرـهـاـ يـوـسـفـ فـيـ نـفـسـهـ وـلـمـ يـبـدـهـاـ لـهـمـ. 3. وـإـنـ تـبـدـواـ مـاـ فـيـ أـنـفـسـكـمـ أـوـ تـخـفـوهـ يـحـاسـبـكـمـ بـهـ اللـهـ. 4. وـأـسـرـوـاـ قـوـلـكـمـ أـوـ اـجـهـرـوـاـ بـهـ إـنـهـ عـلـيـمـ بـذـاتـ الصـدـورـ. إـذـنـ فـكـافـهـ هـذـهـ الـمـسـتـوـدـعـاتـ الـدـاخـلـيـةـ تـعـبـرـ عـنـ تـواـجـدـ كـلـامـ نـفـسـيـ يـغـاـيـرـ الـعـلـمـ فـيـ الـإـخـبـارـيـاتـ وـ الإـرـادـةـ فـيـ الـإـنـشـائـيـاتـ.

وقد تـصـدـأـهـمـ السـيـدـ الخـوـيـيـ قـائـلـاـ:

وـبـكـلـمةـ وـاضـحةـ:

1. إنَّ أرادـواـ بـهـ (الـكـلـامـ الـنـفـسـيـ) أـنـ يـكـوـنـ لـكـلـ فـعـلـ (وـ تـكـلـمـ خـارـجيـ) فـرـدانـ: فـرـدـ خـارـجيـ، وـ فـرـدـ ذـهـنـيـ، وـ مـنـهـ الـكـلـامـ فـهـوـ غـيرـ مـعـقـولـ، وـذـلـكـ لـأـنـ قـيـامـ الـأـشـيـاءـ بـالـنـفـسـ إـنـماـ هوـ بـصـورـهـاـ. قـيـاماـ عـلـيـاـ. لـاـ بـوـاقـعـهـاـ الـمـوـضـوعـيـ، وـ إـلـاـ لـتـدـاـخـلـتـ الـمـقـولاتـ بـعـضـهـاـ فـيـ بـعـضـ، وـهـوـ مـسـتـحـيلـ، نـعـمـ الـكـيـفـيـاتـ الـنـفـسـانـيـةـ كـالـعـلـمـ، وـ الإـرـادـةـ، وـ نـوـهـمـاـ قـائـمـةـ بـهـ بـأـنـفـسـهـاـ، وـ بـوـاقـعـهـاـ الـمـوـضـوعـيـ (فـنـفـسـ حـقـيقـةـ) الإـرـادـةـ وـ الـعـلـمـ قـدـ تـقـوـمـاـ بـالـنـفـسـ وـاقـعـاـ فـلـهـمـاـ وـجـودـاـ وـاقـعـيـاـ) وـ إـلـاـ لـذـهـبـ إـلـىـ مـاـ لـاـ نـهـاـيـةـ لـهـ. وـ عـلـيـهـ فـلـاـ يـكـوـنـ مـاـ هوـ الـمـوـجـودـ فـيـ الـنـفـسـ كـلـامـاـ حـقـيقـةـ، بلـ هـوـ صـورـةـ وـ جـوـدـ عـلـمـيـ لـهـ.

2. وـإـنـ أـرـادـواـ بـهـ صـورـةـ الـكـلـامـ الـلـفـظـيـ فـقـدـ عـرـفـتـ أـنـهـاـ مـنـ مـقـولـةـ الـعـلـمـ، وـ لـيـسـتـ بـكـلـامـ نـفـسـيـ فـيـ شـيءـ، عـلـىـ أـنـكـ عـرـفـتـ أـنـ الـكـلـامـ الـنـفـسـيـ عـنـهـمـ مـدـلـولـ لـلـكـلـامـ الـلـفـظـيـ وـ تـلـكـ الصـورـةـ لـيـسـتـ مـدـلـولـةـ لـهـ، كـمـاـ تـقـدـمـ. (فـالـآـيـاتـ إـمـاـ أـنـ تـدـلـ عـلـىـ صـورـةـ فـيـ الـنـفـسـ وـلـكـنـ الـأـشـعـرـيـ يـنـكـرـ ذـلـكـ وـ إـمـاـ أـنـ تـدـلـ عـلـىـ الـعـلـمـ فـيـنـكـرـ ذـلـكـ أـيـضاـ) وـمـنـ هـنـاـ يـظـهـرـ أـنـ إـطـلاقـ الـكـلـامـ عـلـىـ هـذـاـ الـمـرـتبـ الـمـوـجـودـ فـيـ الـنـفـسـ مـجـازـ، إـمـاـ بـعـلـاقـةـ الـأـوـلـ، أـوـ بـعـلـاقـةـ الـمـشـاـبـهـةـ فـيـ الصـورـةـ.

وأما الآيات الكريمة فلَا تدلان بوجه على أن هذا الموجود في النفس كلام نفسي. أما الآية الأولى فيحتمل أن يكون المراد فيها من القول السر هو القول الموجود في النفس، فالآية تكون عندئذٍ في مقام بيان أن الله تعالى عالم به سواء أظهره في الخارج أم لم يظهروه، وإطلاق القول عليه بكون بالعنابة، وتحتمل أن يكون المراد منه القول السري، وهذا هو الظاهر من الآية الكريمة، فاذن الآية أجنبية عن الدلالة على الكلام النفسي بالكلية واما الآية الثانية فيحتمل أن يكون المراد مما في الأنفس صورة الكلام، وتحتمل أن يكون المراد منه نية السوء وهذا الاحتمال هو الظاهر منها، وكيف كان فلا صلة للآية بالكلام النفسي أصلًا.[2]

---

[1] الطلب والإرادة، ص: 27

[2] محاضرات في أصول الفقه (طبع دار الهادى)، ج2، ص: 32